الأهداف العليا للتعليم

فى المجتمع والحياة

للأستاذ سيد قطب

أعتقد أن الغرض الأول من كل جهودنا فى التعليم ، أن نضمن للفرد حياة معقولة قابلة للنمو والترقى ، وأن نضمن للأمة — عن طريق هؤلاء الأفراد — مجتمعا متناسقا قابلا للتعاون الإنسانى مع كافة المجتمعات الإنسانية .

ولما كان هذا الغرض لا يتحقق ، إلا إذا ضمنا للفرد انسجاما مع روح العصر الذى يعيش فيه ، ومع الظروف التى تحيط به ، ومع الوسط الذى يتعامل معه ، فان صياغة عقلية الفرد — وبالتالى صياغة عقلية الجيل — بحيث تكون منسجمة مع روح العصر ومع الظروف ومع الوسط تصبح هى الهدف العام الذى يجمع الأهداف الأخرى .

والفرد الذى تنسجم عقليته مع هذه العوامل بالقياس الى مصر . . . هو الفرد الذى يعرف مصر معرفة حقيقية ، أى الذى يلم بكل مقومات القومية المصرية وبكل ظروف البيئة المصرية كذلك — بقدر ما تسمح كل مرحلة من مراحل التعليم .

ثم هو الفرد الذى يدرك بعد هذا أن مصر واحدة من ممالك العالم العربى التى توشك أن تكون وحدة جامعة — أى الذى يلم بكل العوامل المشتركة بين جميع بلاد الجامعة العربية من تاريخية الى اقتصادية إلى ثقافية . . . بقدر ما تسمح كل مرحلة تعليمية كذلك .

ثم هو الفرد الذى يدرك بعد هذا وذلك أن الجامعة العربية — ومنها مصر — انما هى وحدة فى أسرة الانسانية — أى الذى يدرك تشابك المصالح بين جميع بلاد العالم على اختلاف هذه المصالح وتعددها — بقدر ما تسمح به مرحلة تعليمه أيضا .

ولكى يتم الانسجام بين الفرد وبين العوامل المتقدمة كلها ينبغى له كذلك أن يدرك روح العصر الذى يعيش فيه ، والاتجاه الانسانى العام ما دامت مصر وما دامت الجامعة العربية كلها وحدة فى الأسرة الانسانية العامة .

والعناصر التى تؤلف روح العصر كثيرة ، ولكنا نستطيع أن نرسم الخطوط الرئيسية لها فى فقرات قليلة ، فهى

١ — العدالة الاجتماعية

وتختلف المذاهب الاجتماعية التى تريد تحقيق هذه العدالة ولكنها جميعا تهدف إليها — وما دمنا قد اخترنا المبادئ الديمقراطية ، فيجب إذن أن نتخذ وسائلها لتحقيق هذا العنصر فى حياتنا .

٢ — الاتجاه الواقعى

فالتفكير التجريدى ، والتصورات الرومانتيكية كلاهما لايجدان مكانهما إلا بصعوبة فى المجتمع الانسانى الحالى الذى يتجه بكلياته الى الماديات والوقائع ، ويعتمد أولا على الأحصاء والتجربة . . وما دمنا نعيش فى هذا العصر فعلينا أن نزود الفرد بوسائل الحياة والتفكير فيه .

٣ — الأحساس الأدبى

وقد يبدو هذا العنصر غريبا بعد العنصر الثانى . ولكن الواقع أن العالم اليوم بعد الحربين التقريبتين ، وبعد الاستغراق فى الماديات ، قد أخذ يتلفت الى العنصر الأدبى فى الحياة يحاول أن يقيم عليه بنيان الانسانية ، بعد ماطغت الماديات فى القرنين الماضيين على تفكيره . . وهذا العنصر الذى أخذ يزغ مرة أخرى بين ضجيج الآلات ، وقسوة الماديات لايليغى لنا إهماله — وبخاصة نحن الشرقيين ولاسيما أن كل دعوات الاستقلال وكل دعوات العدالة الاجتماعية انما تعتمد على هذا العنصر اعتمادا حقيقيا .

* * *

تلك هى أهم العناصر التى تؤلف روح العصر ، وهى أهم الأهداف العليا للتعليم ، ونلخصها فيما يلى :

١ — أن يصاغ الجيل القادم بحيث يكون مصريا (تحيا فى نفسه الروح القومية) ، عربيا يدرك الصلات المشتركة بين مصر والشرق العربى) ، عالميا (يدرك الأواصر المشتركة بين الجنس الانسانى كله والصلات المتشابكة بين أمم العالم) .

٢ — أن يكون واعيا لروح العصر الذى يعيش فيه مدركا لعناصره الرئيسية . العدالة الاجتماعية . الاتجاه الواقعى . الاحساس الأدبى .

وهذه العناصر حين تطبق فى المدرسة المصرية تترك آثارها الآتية .

أولا — فى المناهج

١ — يجب أن تبرز العناية بدراسة الموضوعات التى تتصل بالتاريخ المصرى ، والبيئة المصرية ، وأن يبرز على وجه خاص نصيب مصر فى حضارة العالم القديم والحديث ، كما تبرز الممكنات المتهيأة لمصر لتساهم فى حضارة المستقبل من جهة ، ولتزيد ثروتها وحضارتها الخاصة من جهة ، مع التوسع فى دراسة حالة مصر الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية وينابع ثروتها وعادات شعبها ووسائل معيشتها ، بل خرافاتها وأساطيرها كذلك ، فضلا على شئ من تاريخها فى العصور المختلفة . ويلاحظ أن تبرز نواحى العظمة وصور البطولة

وحددا فى سن الطفولة مع التوسع فى ذكر الحقائق كاملة كلما تقدمت سن التلميذ ومعارفه العامة . فلا تعرض فترات الاحتلال وتعدد مزاياه ، كما تصنع كتب التاريخ فى مدارسنا المصرية .

٢ — يجب أن تدرس بتوسع نسبى كل ما يختص بالشرق العربى — وبخاصة الاسلامى — وأن يستعرض الأواصر والصلات المشتركة القديمة والحديثة ، كما تستعرض الممكنات الاقتصادية والثقافية والسياسية بين جميع بلاد الجامعة العربية . ويجب بوجه خاص أن يبرز نصيب الأسلام فى التاريخ المشترك لهذه البلاد .

٣ — يأتى فى المرتبة الثالثة تزويد التلاميذ بمعلومات عن العالم اقتصاديا وثقافيا وتاريخيا مع العناية بربط مصر والشرق العربى بهذه المعلومات على قدر ما تسمح الحقائق الواقعة . وعند ما يستعرض تاريخ الحضارة الانسانية ينبغى أن يبرز على وجه خاص نصيب مصر ونصيب الشرق العربى ، وبخاصة نصيب الاسلام فى بناء هذه الحضارة .

٤ — يجب أن يكون لدى التلاميذ فكرة تمو بنسبة نموهم عن الاتجاهات الاجتماعية فى العالم ، وعن موقف المجتمع المصرى بوجه خاص ، وأن يكون هذا جزءا من مناهج الدراسة بوجه عام .

وواضح أن مناهج جميع المواد تساهم فى تحقيق الأغراض السابقة . ولكنها تتوزع بصفة خاصة بين مناهج التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية والمعلومات العامة كما تنهض كتب المطالعة والدراسة الأدبية بنصيبها منها .

ثانيا — فى أساليب الدراسة وفى روح المدرسة ونظامها

يجب الاتجاه الى عقد صلة حقيقية بين المدرسة والحياة ، فلا تكون جدران المدرسة حائلا دون رؤية الحياة الحقيقية ومعرفة أساليبها ، وطرق التعامل فيها .

وهذا يقتضى — فضلا عن الموضوعات التى تقرر فى المنهج — أن تدرس هذه الموضوعات بروح تطبيقية لا نظرية ، فالأمثلة على الحقائق التى تعرض يجب أن تتخذ من واقع البيئة لا من محفوظات المدرس ، ولا من تجارب قديمة ربما لا تنطبق تماما على البيئة الحاضرة .

وحينما نجعل بعض حوادث السلف مادة لبث فكرة خاصة يجب أن نعرض نظيرا لها فى العصر القريب ، أو أن نبين للتلاميذ مدى إمكان تطبيقها فى الحياة الحاضرة — وبخاصة الموضوعات التهذيبية — حتى لا ندع التلميذ مضطربا بين التعاليم النظرية المستمدة من حوادث وظروف سالفة ، وبين واقع الحياة الملموس .

وعلى قدر الامكان — وبحسب نوع الدراسة — ينبغى أن ننقل الحياة الخارجية ومعاملاتها المادية وملابساتها الشخصية الى النشاط المدرسى الداخلى بحيث يكون هذا مرانا عمليا عليه كما ينبغى أن ننقل المعاملات الخارجية وملابساتها إلى حجرة الدراسة ونجعلها موضعا للتعليق والمناقشة وتكوين الآراء العملية .

والمدرس لا يملك ذلك مالم تكن المناهج الموضوعة قد عقدت صلة فى موضوعاتها بين الحياة الواقعة و بين المقررات المدرسية ، مادام مكلفا أداء واجب معين ودراسة مناهج معينة .

٢ — يجب أن تكون الصلة بين التلميذ والمدرس ، ثم بينه و بين المدرسة ، مشجعة على إدراك مبادئ الديمقراطية الحقيقية بحيث يتمتع بمزاياها فى مقابل احتمال تبعاتها وذلك يكون — على وجه خاص — بتكوين مجتمعات مدرسية شبيهة بالمجتمعات الخارجية على قدر الامكان . ثم الوجهة النظرية بدراسة حالة المجتمعات الديمقراطية فى البلاد المتمدينة وربما كان المجتمع الاسلامى فى عصوره الأولى نموذجا طيبا لتقوية هذه الروح فى نفوس تلاميذ مصريين تربطهم بهذا المجتمع أواصر وصلات كثيرة .

٣ — علاوة على ما تتضمنه المناهج من دراسة حالة المجتمع المصرى ، والاتجاهات الاجتماعية فى العالم ، ينبغى أن يكون المدرس واقعيا حين يشرح هذه الموضوعات ، فيستمد شروحه من الوقائع والحقائق الملموسة فى الشعب المصرى ، ولا يكتفى بجمل خطابية ، ولا بنظريات مجملة .

٤ — اذا تضمنت المناهج استعراضا للطرق المعيشة فى مصر ، ومرافق العمل الاقتصادية كما ينتظر أن يتمخض عنها المستقبل ، فينبغى أن تكون روح المدرسة وتعاليم المدرس مما يفتح استعدادات كل تلميذ للتوجه منذ الحداثة الى حرفة أو مرفق يناسبه ، وتكون هذه فرصة لدراسة حقيقة ميول التلاميذ واتجاهاتهم ، مع توجيههم الى الوسائل العملية التى يصلون بها الى تحقيق أغراضهم .

٥ — وهذا الاتجاه بالموضوعات المقررة و بطريقة عرضها سيجعل من الأساتذة ومن المشرفين على ادارة المدرسة آباء روحيين لتلاميذهم ، لأنهم سيتناولون معهم مشاكلهم الخاصة واتجاهاتهم الشخصية فى صدد استعراض مرافق العمل ووسائله ، وحاجات المجتمع الى شتى الكفايات ووسائل استخدامها فيه .

وهذه هى الحلقة المفقودة فى المدرسة المصرية ، وفقدانها هو الذى يجعل فترة التلمذة منقطعة عن الحياة العامة ، كما يجعل هناك جفوة بين التلميذ والمدرس و بينه و بين ادارة المدرسة ، لأن الصلة بينه و بين المدرسة صلة جافة ، لا يجد فيها مجالا لاستعراض مشاكله الخاصة ، ولا مشاكل المجتمع القريب الذى يعيش فيه .

وطبيعى أننا لا نستطيع تكليف المدرسة هـذا كله الا اذا خصما لها استقلالا ذاتيا من جهة ، وراحة فى العمل من جهة أخرى ، ومدرسا صالحا من جهة ثالثة .

ومن هـذا الاستعراض يتبين مدى بعـد المدرسة بمناهجها ووسائلها الحالية عن تحقيق الأهداف العامة للتعليم . ويتبين كذلك مدى التغيير الشامل الذى يجب أن يتناول المناهج والكتب وطرق الدراسة وروح المدرسة ونظامها .

ولكى تكون روح هذا التغيير عملية أرى أن يشترك فى وضع البرامج الناس من غير الفنيين فى التعليم كرجال الأعمال والاقتصاديين والباحثين الاجتماعيين ورجال السياسة .

وليست برامج مدارس التجارة والهندسة والمدارس الفنية وحدها هى التى تحتاج لهؤلاء الرجال . فبرنامج المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية فى حاجة الى خبرتهم كذلك ، ما دمنا نريد أن تصبح المدرسة قطعة من الحياة ، وأن تحقق تعاليمها الانسجام الواجب بين الفرد والبيئة والعصر ، هذا الانسجام الذى بدونه لا يستطيع أن يشق طريقه فى الحيـاة .

وليكن عمل الفنيين فى التعليم هو تنسيق هذه الاتجاهات وتحويلها الى مناهج ووسائل فى حدود ما تستطيعه المدرسة المصرية . واختيار القدر الممكن من المعلومات لكل مرحلة وكل فرقة ، مع تنسيق هذه المعلومات وتوجيهها بحيث تكون وحدة متعاونة فى جميع المواد فى الفرقة الواحدة ثم فى المرحلة الواحدة ، تؤدى جميعها الى هـذه الأهداف مع اختلاف المواد . ثم للتوفيق بين كل مجموعة منها والحالة النفسية للتلميذ فى كل مرحلة وفى كل فرقة. وهو عمل ليس بالهين حين يراد اداؤه على الوجه الصحيح ما

سيد قطب

وما قتلتنى الحادثات وإنمـا حياة الفتى فى غير موطنه قتل

« أمام العبد »